مقـــدمة

فـى كتابى «صناعة العداء للإسـلام» أردت أن أنبه إلى ما يجرى فى الغرب من محاولات لتشـويه صورة الإسـلام، وما ينشـر من أفكار ونظريات تثير الكراهية والعداء للإسلام والمسـلمين. فنقلـت بعض ما قيل ونشـر بالحـرف، دون تدخل من جانبـى بالإضافة أو الحذف لكى تكون أمام القارئ صورة أمينة لما يجرى فى الغرب من تحريض على الإسلام.

وكنت بذلك أرجو أن يدرك المسـلمون أن هناك خطرًا حقيقيًا يتربص بهم ومعظمهم غافلون، ولم يكن قصدى أن أبعث الخوف فى قلوب المسلمين، أو أن أثير فيهم مشاعر الكراهية للغرب عملا بمبدأ المعاملة بالمثل كمـا يدعو البعض، لأنى أرى أن مقابلة الكراهية بالكراهية، والعداء بالعداء منافية لروح الإسلام ودعوته، وقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو القدوة لنا فى التسامح والعفو.

كان هدفى أن أضع الحقيقة المؤلمة أمام الهيئات والمؤسسات والجامعات - والحكومات - فى الدول الإسلامية، لكى تتحرك، ويتحرك المفكرون المسلمون، ويبدءوا فى وضع استراتيجية لتصحيح صورة الإسـلام والدفـاع عنه. وكنت أيضا أريد أن أوجــه النقد إلى هذه المؤسســات، وربما الاتهام أيضا، للتقصيــر فى أداء واجبها. وواجبها ألا تكتفى بالحديث إلى المسـلمين لإقناعهم برسـالة الإسـلام ومبادئــه، فـإن الحديث إلى النفس لا يغنى عن الحديث إلــى الآخر، والواجب أن نذهب نحن إلى الغرب - بأفكارنا ومفكرينا وأبحاثنا وإعلامنا - وأن ننظم قوافل تطوف بدول أوربا وأمريكا وتلتقى برجـال الدين، وبالمفكرين، والباحثين فـى الجامعات ومراكز البحـوث، وبالكتّاب والصحفيين، وبرجال الحكم وقيادات الأحزاب، لتشرح - بالدليل والمنطق وباللغة التى يفهمها الغرب - حقيقة الإسلام، وتكشف زيف الدعايات المضللة عنه.

كنت أرجو أن تقوم المؤسسـات الإسـلامية بعمل منظم ودائم لإزالة آثار العدوان على الإسـلام الذى اسـتمر فى الغرب زمنا طويلا، منذ الحروب الصليبية، وحتى من قبلها. خاصة وقد لمسـت بنفسى فى زيارات ولقاءات فى أمريكا ودول أوربية مدى تأثير اتهام الإسـلام بأنه ضد الحرية الدينية، فى زمن أصبحت فيه الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان أسلحة تشهر فى وجه الدول، واتهام شعب بمعاداة هذه المبادئ أصبح كافيا لتعرضه للعقوبات السياسية والاقتصادية، بل وللغزو العسكرى والاحتلال!

كنت أرجو أن تقوم هذه الحملة الإســلامية المنظمة والدائمة على شــرح المبادئ الأساسية للعقيدة كمــا جــاءت فى القرآن الكريم حيث حرية الإنســان هى الأصــل فى العقيدة ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ (البقــرة ٢٥٦) و﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ (الكهف ٢٩). وعقيــدة الإســلام قائمــة علــى أن حكمة اللــه وإرادتــه أن تتعــدد الديانات وتتعــدد الطــرق المؤدية إليــه فى النهــاية. ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ (يونس ٩٩). وقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ ﴾ (هود ١١٨-١١٩). والمبدأ الإسلامى فى معاملــة المسلمين مع من يختلفون معهم فى العقيدة، وحتى مع الكفار الذين لا يؤمنون بالله هو: ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون ٦).

واجب المؤسسات والمفكرين فى العالم الإسلامى أن يسارعوا بالتصدى للهجمة الشرسة التى تربط بين دين الإســلام وبين الإرهاب والعنف. فقد نجحت الدعايات المضادة للإسلام فى تحويل الرابطة بين الإرهاب وبين من يقومون به كأفراد ضلوا الســبيل، ليجعلوها بين الإرهاب وبين المســلمين فى عمومهــم، ثــم يجعلوها بين الإرهاب وبين أصول ومبادئ العقيدة الإســلامية، مســتغلين فى ذلك تشــويه مفهوم الجهاد فى الإســلام والادعاء بأنه تحريض على محاربة غير المسلمين على الإطلاق ودون تمييز، حتى اســتقر فى أذهان الغالبية من المثقفين والعامة فى الغرب أن الجهاد فى الإســلام معناه العدوان، مع أن مفهوم الجهاد فى العقيدة الإسلامية مفهوم دفاعى، وليس مفهوما هجوميا أو عدوانيا. بل إن الله يدعو المسلمين إلى العفو عمن يسئ إليهم، وإذا عاقبوا فلا يزيد العقاب عن المثل. ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾(النحل ١٢٦). وإذا قبل المعتدى السلام العادل، فإن أمر الله للمسلمين أن يقبلوا ذلك: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا ﴾ (الأنفــال ٦١) و﴿ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴾ (النساء ٩٠).

هذه المبادئ الإنســانية الراقية التى تمثل أقصى ما يمكن أن تصل إليه العلاقات بين الناس على اختلاف عقائدهم، وبين الدول والشــعوب، هى التى يحتاج الغربيون إلى تفهمها، وهذا ما يفرض على المؤسســات الإسلامية – وعلى رأسها الأزهر الشريف قلعة الإسلام الكبرى – مخاطبة الغرب بلغته، وليس بلغتنا، للرد على كثير من الاتهامات الظالمة مثل اتهام الإسلام بأنه يدعو إلى التواكل والكسل، أو أنه السبب فى تخلف المسلمين عن ركب الحضارة والتحديث، أو أنه يتعارض مع القيم الحضارية والإنســانية.. ويحرم المرأة من حقوقها الإنســانية إلى آخر ما فى قائمة الاتهامات التى أوردت الكثير منها فى كتاب (صناعة العداء للإسلام).

فى هذا الكتاب كنت أريد أن أقدم للمسلمين عريضة الاتهام الموجهة لهم ولدينهم كما هى منشورة فى كتب ومقالات وأفلام منتشــرة فى الغرب، وعلى ألسنة بعض كبار القادة والسياسيين أيضا، لكى

أســتثير الحمية للدفاع عن دين الله، خاصة وأن العداء للإســلام والمســلمين ليس مقصورا على الفكر والمشاعر والمعتقدات،وإنما له نتائج خطيرة تؤثر فى حياة واستقلال ومستقبل المسلمين وبلادهم.

كنت أريد أن أنبه إلى خطأ الأسلوب الذى تتبعه الهيئات والحكومات الإسلامية بإرسال مفكرين إلى بعض البلاد الغربية لبضعة أيام، ليلتقوا بعدد من المفكرين ويشــاركوا فى حوار هنا أو هناك، ويقولوا كلمتهم، ثم يعودوا إلى بلادهم، وينتهى الأمر عند هذا الحد، وكأن هذه الرحلة، أو الندوة، أو هذا الحوار هو عصا موســى التى ســتقضى على المؤامرة الكبرى على الإسلام. خاصة وقد أصبحت نظرية صراع الحضارات فى الغرب عقيدة تحرك السياسات والجيوش، وأصبحت دعوة صاحب هذه النظرية (صمويل هانتنجتون) هى المحرك للدول الكبرى للضغط على الدول الإسلامية بكل الوسائل لتغيير بعض المبادىء فى العقيدة الإســلامية وغرس منظومة متكاملة من القيم الغربية لتحل محل القيم الإســلامية، ويكون ذلك – كما قال هانتنجتون – الضمان لتحديث المجتمعات الإسلامية لكى تذوب الحضارة الإسلامية فى الحضارة الغربية وينتهى الصراع بين الحضارتين!

ولقــد اكتفت الجهود فى العالم الإســلامى بإعلان الرفض لنظرية صــراع الحضارات والقول بأن الإسلام يدعو إلى حوار الحضارات والشعوب، وكان من الطبيعى ألا تصل هذه الرسالة إلى الغرب، وما زالت هذه المهمة تنتظر من يقومون بها بشــجاعة ومثابرة، ولا يكفى أن يقوم بها داعية واحد أو عشــرة من الدعاة، فهى مهمة تحتاج إلى انتشــار، وإلى النفس الطويل، كما تحتاج إلى تخطيط، وتنسيق وتمويل، وحشد الكفاءات المؤهلة لمخاطبة العقل الغربى. كما تحتاج إلى إنشاء مراكز علمية إسلامية فى الغرب وترجمة كتب العقيدة والفقه والأخلاق الإسلامية إلى اللغات المختلفة.

هذا ما كنت أهدف إليه من كتابى (صناعة العداء للإســلام). وبعده شــعرت بأن واجبى أن أقدم الجانب الآخر من الحقيقة، وهو أن فى الغرب مفكرين وباحثين لهم قيمة وتأثير، درســوا الإسلام بموضوعية وبدون تحيز، فاكتشــفوا ما فيه من قيم تقدمية وحضارية وإنسانية كبرى، ولم يترددوا فى إعلان ذلك، ولم يتوانوا فى الدفاع عن الإسلام.

وكما أن المســلمين فى غفلة عن أعدائهم، فإنهم أيضًا فى غفلــة عن أصدقائهم. فلم يهتموا بدعوة هؤلاء المنصفين للإســلام، وتكريمهم، والمساهمة فى نشــر أفكارهم بكل وسائل النشر، حتى تكون موجة الإنصاف قادرة على مواجهة موجة العداء الظالمة.

لذلك رأيت أن أشــير إلى بعض هؤلاء الذين أنصفوا الإســلام من الغربيين، تعريفا بهم، وتحية لهم، واعترافا بفضلهم.

وأرجو أن أكون قد وفقت.

وما توفيقى إلا بالله.

رجب البنا